الحرب والصلح

كثر الخوض في حديث الصلح في السنة الماضية ، وقد كانت دول التحالف الجرماني هي التي بدأت بطلب فتح باب المفاوضة في الصلح وكلفت ألمانية الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية قبل انضمامه الى محاربيها أن يتوسط بين المتقاتلين في الصلح فكتب مذكرة في ذلك ردت عليها انكلترة أشد الرد ، ورفضتها كل الرفض ، وتبعها حلفاؤها بالطبع . ثم ان البابا أرسل رسالة الى جميع الدول المتقاتلة من الفريقين دعاهم فيها الى المبادرة الى حقن الدماء وعقد الصلح على قاعدة جعل قوة الحق الادبية بدلا من قوة الجيش المادية ، وتحديد التسليح البري والبحري والجوي ، وحرية البحار وحقوق الشعوب وعدم ضم شيء من أملاك بعضها الى بعض وعدم أخذ غرامة حربية وجعل التعويض عن الخراب بالتعاون — وقاعدة التحكيم الاجباري فيما يقع بين الدول من المسائل الخلافية . فلم يستحسن هذه المذكرة من دول التحالف البريطاني الا حكومة روسية المؤقتة التي سبقت الى اقتراح قاعدة « لا ضم ولا غرامة » وقد رد الدكتور ولسن على المذكرة ردا طويلا وافقه عليه سائر الحلفاء أهم ما فيه ان حكومة ألمانية الحاضرة حكومة أتقراطية لا تثق الحلفاء بعهودها فيعقدوا معها صلحا فالاساس الاول لقواعد الصلح عندهم تحويل هذه الحكومة الى دمقراطية تنطق باسم الشعب فان لم يبادر الالمان أنفسهم الى قلب حكومتهم وثل عرش آل هوهنزلرن المؤيد بالقوة العسكرية والاستعاضة عنها بحكومة دمقراطية فان الحلفاء هم الذين يفعلون ذلك بالقوة القاهرة ، وحينئذ يتم الصلح الحقيقي الذي يستريح به البشر من مصائب الحرب . وقد أيدت الحلفاء الرئيس في رده وأثنت جرائدها عليه[1] الا أن بعض الجرائد الانكليزية كالتيمس أنكرت منها تفرقة الرئيس بين الحكومة الالمانية والشعب الالماني اذ جعل وزر الحرب على الحكومة وحدها قالت « ولكن الشعب الالماني قابل الحرب بحماسة عظيمة وان لم يكن هو الذي أعلنها وقد وافق

(١) نشر رد الرئيس ولسن في مقطم ٣ ذي الحجة الماضي (٢١ سبتمبر) ونشرت نبذ من الجرائد الامريكية والانكليزية والفرنسية والطليانية في تأييده في ٤ ذي الحجة

نوابه على جميع الاعتمادات الحربية وقابلت صحافته الفظائع الجرمانية بهتاف شديد»

ونقول ان الظاهر لنا أن الرئيس ولسون يرمي بتبرئة الشعب الالماني من تبعة الحرب واظهاره الا كتفاء باسقاط حكومته الامبراطورية الى إغرائه بثورة داخلية على حكومته الممتازة بكونها جبهة الوحدة لقوتها وقوة أحلافها فان تم هذا تنتهي الحرب في أقرب زمن بأقل خسارة

أما دول التحالف الجرماني فقد قابلت مذكرة البابا بالابتهاج فأما ألمانية فقد أرسل وزير امبراطوريتها رداً جميلا الى وزير خارجية الفاتيكان بأمر مولاه الامبراطور بدأه بقوله « ان جلالته ينظر بعين الاحترام والشكر والسرور الى المساعي التي يبذلها قداسة البابا لتقصير أجل الحرب وتخفيف وطأتها» الخ وتبجح بأن مولاه مازال نصير السلم منذ تبوأ العرش وبأنه يوافق على ان الشروط التي قالها قداسته من الامور التي يجب أن تظهر في المفاوضات المقبلة وبأنه « ليس في العالم شعب يتمنى الصلح على أساس اصلاح ذات البين بين الامم وإحلال الاخاء والمساواة محل البغض أكثر من الشعب الالماني. (قال) فاذا أدركت الامم المشربة بهذه المبادي ان الاتفاق خير من الشقاق فانها تستطيع أن تسوي جميع المشاكل الحاضرة وتمنع وقوع الحروب في المستقبل بإنالة جميع الشعوب ما يلزم لحياتها وسعادتها، فعلى هذا الاساس وحده يحتمل أن يبرم الصلح الدائم الذي يقرب بين الامم وينهض بالبشرية نهضة كبيرة من الوجهتين المعنوية والاقتصادية . وهذه الثقة هي تحملنا على الاعتقاد أن أعداءنا يجدون في المبادي التي أشرب عنها قداسة البابا أساسا تمهيديا للصلح المقبل بشروط تلائم روح العدل وموقف أوروبا الحالي» اه بنص ترجمة المقطم (في ٩ ذي الحجة المنصرم)

ورد امبراطور النمسة الجديد (كرلوس) بنفسه ردا مشربا بمنتهى التعظيم والاحترام والقبول لانه هو الامبراطور الكاثوليكي الوحيد ولكنه لم يفه بكلمة ما تدل على اعترافه بحقوق الامم والشعوب

وكذلك كان رد الدولة العثمانية على المذكرة بامضاء السلطان محمد رشاد رد مشربا بالتعظيم والاحترام وصرح فيه بالموافقة على القواعد الاساسية التي اقترح ان يبني عليها الصلح والاستعداد لدرس الطرق التي تؤدي الى تسوية المشاكل الدولية

في إبان مفاوضات الصلح (قال) « وانا نصرح بذلك وامام انظارنا الضمان الكافي على استقلال الامم وحريتها وارتقائها لاننا رأينا في اقتراح قداستكم أساسا متينا للصلح العمومي الدائم وطريقة حسنة لحقن الدماء »

وقال قبل ذلك « لقد أكرهنا على خوض غمار الحرب دفاعا عن حريتنا وارتقاء بلادنا . وهذه الغاية الشريفة هي الغاية الوحيدة التي نحارب الآن من أجلها والتي تكفل لنا المحافظة على حقوقنا واستقلالنا التام المطلق في بلادنا وعلى حدودنا القومية » اه من ترجمة المقطم التي نشرت في عدد ٨ المحرم — ٢٥ اكتوبر الماضي

وقد جزم ساسة الحلفاء بأن البابا لم يسع هذا السعي الى الصلح الى بتوسل ألمانية والنمسة اليه وان سبب ذلك الشعور بالضعف والعجز عن الاستمرار على القتال ، وان الغرض منه إغراء الميالين الى الصلح في بلاد أعدائهم من الاشتراكيين وغيرهم بحمل حكوماتهم على عقد الصلح، فما من أمة محاربة الا وفيها كثير من محبي السلم ودعاته. أما رأي هؤلاء الاحلاف في مسألة الامم والشعوب فقد بيناه في الجزء الاول، وأما مسألة الغرامة فقد صرحت جرائدهم ناقلة عن أقطاب ساستهم ان من أهم شروط الصلح عندهم أن يؤخذ من الجرمان عوض عن البلاد التي خربوها في بلجيكة وفرنسة والبلقان ، بعد جلائهم عن هذه البلاد كلها ، ومنها رد الالزاس واللورين الى فرنسة

وقد جاءت برقيات روتر في ٥ المحرم (٢٢ اكتوبر) بنص خطبة طويلة بليغة من خطب لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية ألقاها على ملأ عظيم في لندن كان غرضه الاول منها الحث على الاقتصاد في جميع النفقات واستطرد فيها الى الكلام في مسألة الصلح فقال بعد التصريح بأنه لا يرى في جو السياسة شروطا تؤدي الى صلح وطيد الاركان « ولكن الشروط الوحيدة المحتملة الآن تؤدي الى هدنة مسلحة تفضي الى حرب أشد هولا من هذه . ان هذه الحرب مخيفة ولكن ما كشفته من الرزايا التي يحتمل وقوعها في البر والبحر والجو أشد هولا وأعظم رعبا ، فلهذا أطلب من الذين يلحون في عقد صلح مبتسر — اذا صح ان هنالك من يلح فيه — ان ينعموا النظر فيما يحتمل وقوعه اذا وقع صلح غير مرض » ثم قال :

« يجب علينا في أثناء البحث في شروط الصلح ان نضع نصب عيوننا الغرض

العظيم من هذه الحرب فان المسألة ليست مسألة تعديل حدود أملاك الا حيث تقتضي حقوق القوميات هذا التعديل ، ولا هي مسألة غرامات الا حيث تكون الغرامات للتعويض من ضرر ، ولكنها في الدرجة الاولى مسألة القضاء على مبدإ فاسد باطل استعبد أوربة وأوقع الخوف في قلوب أهلها أو كاد لو أتيح له الفوز (هتاف)

« ان العدو الحقيقي هو روح الحرب الذي نشأ وترعرع في بروسيا ، هذا الروح الذي يرمي الى جعل العالم مكاناً تتسلط فيه القوة البهيمية تسلطاً لاينازع فيه أحد ، بدلا من عالم تسكنه دمقراطيات حرة مرتبطة معاً بعرى السلم الشريفة ، وقد أقيم لهذا الروح هيكل يعبد فيه في بتسدام[1] فلا سلم في العالم ولا حرية الا اذا دك هذا الهيكل وشتت شمل كهنته وألبسوا ثوب العار الى الابد (هتاف)

«وعلقت الرجاء باننا نتمكن في السنة الحالية من القضاء على هذه القوة الهائلة وكنا جميعاً ننتظر حركة حربية عظيمة من جميع الجهات تتجه الى العدو وتنيلنا هذه الامنية . ولكن تضعضع قوة روسيا الحربية الموقت — لاأقول انه خيب الآمال ولكنه أجل تحقق الرجاء على أن الزمان في جانبنا » اه المراد منه

[المنار] ان الحرب السياسية من قولية وعملية ، أعظم من الحرب الآلية من برية وبحرية ، وقد ظهر من براعة البشر في الحرب القلمية ، ماهو أدل على الحذق والذكاء من براعتهم في اختراع الآلات والاساليب الحربية ، ومن براعة الانكليز المعهودة في السياسة أن قذفوا الالمان بالدول والامم ، بازاء قذف غواصات الالمان لبواخرهم بالحمم ، حتى صار أعظم دول أمريكة الشمالية وأمريكة الجنوبية حربا لهم ، بل آذنتهم دول الصين بالحرب أيضا ، فصار عدد نفوس الامم المحاربة لهم بالذات و بالتبع زهاء ألف وخمسمائة مليون ، وهم لايزيدون مع أحلافهم على مئة وخمسين مليونا ، وقد صرحت الجرائد بأن الجيش البريطاني المقاتل في الميدان الغربي وحده لايقل عن ثلاثة ملايين ، وان الجيش الالماني المقاتل بالفعل لايكاد يتجاوز أربعة ملايين . وصرحت مرارا بأن الانكليز وأحلافهم متفوقون على الجرمان في السلاح والذخائر وجميع مواد الحرب أضعافا كثيرة ، بل جاء في برقية لمكاتب

(١) المنار يعني الوزير بهذا الهيكل عرش ملك بروسية امبراطور الالمان

المقطم بباريس في ٣٠ مايو الماضي ان الجنرال ز .. لندن قال في مقالة له « يظهر ان النمسة وبافارية وتركية استنفدت جميع قواتها وصارت على آخر رمق ، وان هذه الدول الثلاث ما كانت لتثبت لولا همة ألمانية ونشاطها ، ولكنها ستتلاشى بنفاد قوتها وتطرد الوهن اليها » وقال عن الجيش الالماني « ان عدد فرقه كان في شهر ابريل الماضي مئتين وتسع فرق من المشاة وهذا العدد يساوي عدد المشاة من البريطانيين في ميدان فرنسة فللفرنسويين والانكليز التفوق على ألمانية » اه

نعم انهم خسروا قوة روسية ولكن يقابلها انضمام الولايات المتحدة اليهم، وهذه الدولة أغنى دول الارض الآن ، وهي تقرض الحلفاء المال بمئات الملايين في كل شهر ، وتقدم لهم من الذخائر والاغذية والمواد الضرورية للحرب ما خف به الحمل الثقيل عن عاتق الانكليز . ففي مقطم ٢١ المحرم (٧ نوفمبر) مقالة افتتاحية قال فيها : ان الحكومة البريطانية أقرضت حلفاءها ألفا ومئتي مليون من الجنيهات ، وهي تجود عليهم بالبواخر والفحم والصوف والقطن والزيت والفولاذ وغير ذلك من المواد الخام التي تكثر في بلادها وفي مستعمراتها . ثم ذكر ان لها في الميدان الغربي نحوا من ثلاثة ملايين مقاتل

هذا وان الاخلاق ركن من أعظم أركان الحرب لأن جميع أعمال البشر من آثار أخلاقهم ، فالصبر والثبات في الحرب واجتماع الكلمة خير من كثرة الجيوش، فتأمل تعليل النصر في النص الكريم (٢ : ٢٤٤ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) وقوله تعالى (٨ : إذا لقيتم فئة فاثبتوا — الى قوله — ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) ومعنى كونه تعالى مع الصابرين ان سنته في خلقه قد جرت بجعل الصبر من أعظم أسباب الغلب والنصر ، ولا سيما اذا صحبه الايمان بالله عز وجل والثقة به والتوكل عليه ، وبمجموع ذلك فاز المسلمون من قبل فغلبوا الامم الكثيرة بالفئات القليلة

والصبر والثبات والتعاون من الاخلاق التي امتازت بها الامة الانكليزية على كثير من الامم منذ أجيال، لذلك كانت أخلاقهم ، أنفع لاخلافهم من أموالهم ومتاعهم ، فلولاهم لم يثبت على حرب الالمان أحد ، وهؤلاء الالمان أقران لهم وأقتال في ذلك ، فحرب الاخلاق بينهما هي الجهاد الاكبر ، وعليه المعول الاخير في النصر والظفر ،